من شؤون المسلمين والعالم

استعراض العضلات

وماذا يريد حكّام المسلمين ؟

لم يكن حشد القوات على الحدود بين سورية والأردن إلاّ عمليّة يسميّها الــسياسيون المحترفــون (اســتعراض عضلات) وكأنّهم في حلبة ملاكمة ، يهدّد أحد الطرفين بتسديد ضربة قاضية ، ويتخذ الآخر استعداداته للــدفاع ، ويقرّر الحكم إلغاء المباراة ..

وهذه مجرّد (لقطة عابرة) على مسرح الحياة السياسية لأنظمة الحكم القائمة في بلادنا العربية والإسلامية .. غــير أنّها –كسواها من اللقطات العابرة أيضاً– تنطوي على عبر كثيرة ، تكشف حقيقة المأساة

* * *

–١–

الموقف الرسمي .. وأقوال من يسمّون بالمراقبين السياسيين في أجهزة الإعلام العربية وغير العربيــة تجتمــع علــى القول ، إنّ الهدف الأول من عملية استعراض العضلات من جانب الحكم القائم في سورية هو التأكيد على دوره في (قضية فلسطين) !

وتقول التوضيحات والتفاصيل ، لقد رأى هذا الحكم أنّ مؤتمر القمّة الأخير في عمّان قرّر واقعياً تفويض الملــك حسين بالحديث باسم المشاركين في المؤتمر مع الرئيس الأمريكي الجديد حول إيجاد حلّ شامل لقــضية فلــسطين .. وخشي الحكم القائم في سورية أن يجد نفسه في النهاية (منفرداً) على مائدة المفاوضات مع الإسرائيليين فــلا يحــصّل منهم إلاّ على أقلّ من القليل ..

وتقول التفاصيل أيضا :

إنّ الحكم القائم في سورية أراد إذن إثبات استحالة تحقيق شيء إضافي على كامب ديفيد من التسوية السلمية إلاّ بمشاركته .. وبالتالي مشاركة السوفييت من ورائه

وتقول أيضا :

إنّ هذا الحكم يحمل في يده ورقة منظمة التحرير الفلسطينية ، فهو يقيّد حركتها العسكرية والسياسية في لبنـــان كما في سورية .. وهو الذي دفعها ودفع حكومة لبنان إلى مقاطعة مؤتمر عمّان .. وهو الذي يتخذها (ذريعة) عندما يعلن أن مطلبه الأوّل لإلغاء استعراض العضلات على الحدود .. ألاّ يتكلّم الملك حسين باسم الفلسطينيين

* * *

وعملية التحليل السياسيّ لهذه الأقوال تصل إلى نتائج مبدئية واضحة بالنسبة إلى حقيقة مواقف نظام الحكـــم في سورية والأنظمة الأخرى على السواء :

▪ أنظمة الحكم المجتمعة في مؤتمر عمّان تريد التسوية السلمية خارج إطار كامب ديفيد (!) بالاتفاق مـــع دولـــة كامب ديفيد (أمريكا) ، ومطلبها الرسميّ المعلن هو انسحاب اليهود من الأرض المحتلة عام ٦٧م (فقط) ..

▪ خلاف نظام حكم سورية مع سواه من الأنظمة ، كخلافه وخلافها مع نظام الحكم في مصر .. على الوســـيلة لا الغاية ، فالجميع يريدون الصلح ، ويختلفون على طريقة الوصول إليه .. سبقهم السادات ويريد هو أن يلحقوا به ، كما يريدون هم أن يلتقوا معه عملياً ، ولكن بعد الالتفاف على بوابة (كامب ديفيد) للدخول عبر النافذة أو من على السطح

▪ منظمة التحرير وشعب فلسطين عند هذه الأنظمة جميعاً ، ورقة ربح أو خسارة ، فالكلّ يقول إنّ القضية قضية فلسطين .. قضية شعب فلسطين ، والكلّ يعمل من أجل حلّ جماعي ، إذا كان للمنظمة والشعب فيه كلمة ، فيجب أن تكون كلمة الموافقة على ما يجتمع عليه قرارهم ، أو الموافقة على ما ينفرد به بعضهم من قرار

* * *

وننطلق في تقويمنا لهذه النتائج كما هو الحال مع سائر قضايانا الإسلاميّة ، مـــن منطلـــق الإســـلام وحكمـــه ، متجاوزين (حلبات الملاكمة والمآسي التمثيلية) ومن يشارك فيها .. والإسلام يقول :

▪ إنّ التخلّي عن شبر واحد من أرض فلسطين المحتلة عام ٤٨م وعام ٦٧م هو خيانة لقـــضية فلـــسطين وخيانـــة للعرب والمسلمين ، سواء صدرت منفردة أو جماعية ، عن حكم السادات أو الأسد أو حسين أو عن أيٍّ من أنظمـــة الحكم الأخرى القائمة في هذه الأيام ، أو التي قد تقوم في قادم الأيّام .. من أمثال هذه الأنظمة

يقول الإسلام :

▪ إنّ وضع القضية وحلّ القضية في يد هذا الرئيس الأمريكي أو ذاك ، وهذا المعسكر الأجـــنبي أو ذاك أو يـــد المعسكرين معا .. هو لون من ألوان التبعية وجريمة خطيرة ترتكب في حقّ الإسلام والمسلمين وقضاياهم في حاضرهم

ومستقبلهم .. هو موالاة لمن حرّم الله تعالى موالاتهم فضلاً عن التبعية لهم ، وهزيمة أمام من غضب الله عليهم ولعنهم إلى يوم الدين .. وإنّما تتنكّر أنظمة الحكم هذا التنكّر لحقّ القضية الإسلاميّة بفلسطين وهي تقرن ذلك بالاســتبداد الداخليّ على الشعوب ، وبعزل هذه الشعوب عن قضاياها المصيرية وبهدر طاقاتها في استعراض العضلات الوهمية وفي الحروب الجانبية

ويقول الإسلام أيضا :

▪ إنّ شعب فلسطين نفسه –وهو جزء من المسلمين لا يتخلّى عن أرضهم– إذا أكرهت النكبات والضغوط هذا الجيل منه على سكوت –وهو لا يسكت كما تشهد بير زيت وأخواتها– أو على استسلام لقيودٍ تضعها على معصميه أيدٍ عربية وقنابلُ اليهود تتساقط على رؤوس نسائه وشيوخه ورصاص اليهود ينطلق إلى صدور شبابه وبناتــه .. لــو أكرهت النكبات والضغوط هذا الجيل منه على نوع من أنواع التخليّ عن الأرض ، فلا القوانين الدولية تعترف بمــا يُنتزَع منه بالضغوط والإكراه ، ولا هذه القضية المصيرية ملك له وحده ، بل أرض الإسراء والمعراج ملك المــسلمين جميعاً ، وقضيتها قضية أجيال .. هي أرض الله ، وشهداؤها من هذا الجيل هم رتل من قافلة الشهداء لتحرير أرض الله ، وواجب التحرير لا يقوم به إلاّ جند الله ﴿ **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْــصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۞ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ۞ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۞ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۞ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ** ﴾ [الصافات : ١٧١–١٧٧]

* * *

–٢–

قيل إنّ السبب الثاني الذي أعلنه الحكم القائم في سورية رسمياً ، هو مطالبة الملك حسين بـ (وقف) دعمه للإخوان المسلمين في سورية ، والتعهّد بذلك كتابيا .. (الكلام الرسمي المعلن على لسان الملك حسين وألسنة المسؤولين لديــه مرارا .. لا يكفي)

وقيل في البداية إنّ الملك حسين وافق فوراً بالوساطة السعودية ، ثمّ أعلن الرفض الرسميّ لأنّ في ذلك إقراراً بصحّة (الاتهامات السورية الخطيرة) ! .. ثمّ انفرجت الأزمة فجأة ، وأنهيت عملية استعراض العضلات تدريجيا ..

* * *

–٣–

ونتابع تحليل ما حدث وما قيل فيه ، وقد قيل إنّ من الأسباب الخلفية التي دفعت الحكم القــائم في ســورية إلى استعراض عضلاته تجاه الحكم في الأردن في هذا الوقت بالذات ، هو (وقوف) سورية إلى جانب إيران مقابل دعــم الملك حسين للعراق في الحرب الدائرة بين البلدين

وقيل إنّ سورية أرادت تخفيف عبء ضغط الجبهة على إيران ، واستعراض إمكانية تدخّلها في حالة ازدياد دعــم

الملك حسين للعراق ، وإنّها أرادت القيام بعملية ربط للقوات الأردنية بعيداً عن خطوط النار

ولا يجد المرء في الشرطين الأساسيين المعلَنيْن رسمياً لإنهاء أزمة الحدود شيئاً من هـــذه الأقـــوال .. وإذا نظـــر في التصريحات المتكرّرة الصادرة من جانب المسؤولين في الحكم القائم في سورية وجد التكذيب بعد التكذيب لكلّ نبـــأ تردّد بوجود (شبهة) دعمٍ سوريٍّ حقيقي لإيران

وتحليل ذلك يوصل إلى عدد من النقاط أيضا :

▪ إنّ ما قيل بشأن وجود هذا السبب الثالث لدى الحكم في سورية وراء عملية استعراضه للعضلات إمّا ..

– أنّه ملفّق عليه لا أصل له ، ولهذا لا يُذكَر في شروط إنهاء الأزمة ..

– أو أنّ الحكم القائم في سورية نفسه أثاره على صورة (شائعات) موجّهة .. تدفع عامّة النـــاس إلى الاعتقـــاد بإمكانية قيام هذا الحكم بدور ما في دعم إيران ..

▪ إنّ الحكم القائم في سورية حريص حرصاً كبيراً على ألاّ تصدّق أنظمة الحكم الأخرى (تهمة قيامه بدعم إيران) سواء كان هو مصدر الشائعات أم لم يكن ..

▪ إنّ الأرجح هو أن الحكم في سورية لا يريد أصلاً تجاوز حدود الإعلام الداخلي في سورية نفسها في قضية دعم إيران المزعوم .. بل يمكن القول إنّه ينتهز فرصة كأزمة الحدود لاستغلال (علاقاته بإيران) في عدّة مجالات :

– الأوّل هو خلافه العدائي المستحكم مع الحكم القائم في العراق

– الثاني خلافاته القائمة بدرجات متفاوتة من مرحلة إلى أخرى مع الأردن ودول الخليج

– الثالث –وهذا هو الأهمّ– على الصعيد الداخلي ، ليصوّر نفسه حريصاً على مواقف ذات صبغة إسلامية ، من خلال الظهور بمظهر المدافع عن (الثورة الإسلاميّة في إيران) ..

▪ إنّ ثورة إيران هي الخاسرة في هذه العلاقات على جميع الأحوال .. ومن أسباب هذه الخسارة :

– أنّ الحكم العاجز عن حماية نفسه داخلياً وكسر نطاق عزلته خارجيا .. أعجز عن أن يقدّم لها دعماً حقيقياً ، على فرض أنّ ميزان العلاقات القائمة هو ميزان المصلحة وحده

– وأنّ علاقات ثورة إيران بالحكم في سورية تثير حولها أشدّ الشبهات في نفوس عامّة المسلمين المتـــسائلين عـــن الدافع وراء ذلك ، لا سيّما وأنّ الحكم في سورية حكم (طائفي) متسلّط

– وأنّ ثورة إيران (الإسلاميّة) لتلوّث سمعتها إلى حدّ كبير بارتباط اسمها باسم حكم دموي إرهابي يقتّل المسلمين ويعتقل منهم من يعتقل ويمارس من ألوان التعذيب ما يمارس .. بلا تمييز بين مسلم وآخر

– وأنّ ثورة إيران لتخسر رصيداً كبيراً لها كثورة شعب على الطاغوت والتبعية الخارجية ، بانزلاقها في علاقات مع نظام حكم (طاغوتي تبعيّ) قد ثار عليه (المستضعفون) وينتظرون نصرتهم ممّن يؤمن بأنّ الشعب لا بدّ سينتـــصر يوماً على الطاغوت مهما تجبّر ومهما ضاعف من درجة تبعيته الخارجية

وليس مقابل مثل هذه الخسارة الجسيمة ما يعوّض عنها ، فأيّ مراقب حيادي للوضع في سورية يعلم أنّ الحكـــم القائم لم يستمرّ إلاّ على الدماء والأشلاء ، وأنّه لا بقاء له في المستقبل بأيّ ميزان من الموازين

* * *

وكلمة الإسلام في هذا كلّه تقول :

▪ إنّ الإسلام الحقيقي لا يمكن تشويهه بالاستعراضات الإعلامية أم استعراض العضلات مع التلويح به من جانب الحكم في سورية بحجّة (دعم إيران)

▪ وإنّ الإسلام ليفرض على ثورة إيران كما يفرض على كلّ مسلم مخلص ، أن يتخذ من الوضـــع الـــدموي في سورية موقف الإدانة الواضح .. ولا عذر للسكوت في هذا المجال ، مهما كانت الدوافع والمبرّرات

* * *

ويقول الإسلام أيضا :

إنّ مأساة شعوبنا الإسلاميّة في الوقت الحاضر أنّها لا تزال خاضعة لأنظمة حكم معيارُ تصرّفاتها –كما هو الحال في سورية كمثال– هو استمرار تسلّطها ، وإنّ هذه المأساة لا ينهيها إلاّ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ومـــضوا في طليعة هذا الجيل الإسلاميّ بإيمانهم الراسخ وجهادهم المخلص وتضحياتهم المستمرّة .. يشقّون الطريق إلى النـــصر الموعود .. فمن اعتبر من الحكام بدروس الماضي والحاضر ، ووضع مصلحة الإسلام فوق كلّ مصلحة ، فربّما ينجـــو من الخسران المبين ، ومن استمرّ على ما هو عليه .. فإنّ الله عزَّ وجلّ يقول : ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَـــا إِلاَّ إِحْـــدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ** ﴾ [التوبة : ٥٢]